القصيدة المزدوجة

لعلى بن الجهم السامى ، الشاعر المعروف*

المتوفى سنة ٢٤٩هـ

جمع بطرس گريزنيويچ

نشر العلامة المرحوم خليل مردم بك ديوان على بن الجهم السامى قبل برهة • وقد أشار الى مقطعة ظنّ مصيباً أنّها بداية مزدوجة ابن الجهم فى التأريخ ونوّه بأهمّيتها اذ أنّها ـ عنده ـ من أوائل النظم التأريخى العام فى الآداب العربيّة • فانّ منظومة ابن الجهم هذه محاولة لتدوين تأريخ العرب عامّة منذ بداية الخلق حتى زمانه •

وتكاد هذه المزدوجة تعدّ من أوائل النظم التعليمى • وعلى بن الجهم وكذلك يحيى بن الحكم البكرى الغزال ، وتمام بن علقمة ، وابن المعتزّ ، وابن عبد ربّه ، وابو طالب عبدالجبّار المتنبى الاندلسى هم الصفّ الاوّل من الرجّاز الذين بدىء بهم ضبط الحوادث التأريخيـة فى سلك الشـعر السياسى •

والشعر التأريخى من المظاهر الادبيّة المهمة التى عنيتُ أنا بدرسها وقد ألفت فى ذلك رسالة مقتضبة أرجو أن تتاح فرصة نشرها فى المستقبل • أمّا مزدوجة على بن الجهم فقد ضاع أكثرها وما وصل الينا منها الاّ قطع يسيرة مبعثرة فى بعض الـكتب التى لم يطّلع عليها الفاضل محقّق ديوان ابن الجهم ؛ ومنها : تأريخ العبّاسيين المحفوظة نسخته الفريدة بمكتبة معهد الشعوب الاسيوية بلنينغراد ، وكتاب الاوراق للصولى الذى تحتفظ مكتبة لنينغراد العامة بأصله الوحيد •

هذا ـ ويؤيّد ما عثرنا عليه من فِقَر تلك القصيدة اشارة ياقوت الحموى الذى ذكر أنّها تناولت تأريخ العرب حتى زمان الشاعر •

(*) نشرت هـذه المقالة تعريفا بما يكتبه المستشرقون عن التراث العربى •

وقد أرّخت نهاية القصيدة وفاة الخليفة المنتصر بالله ـ التى كانت ٢٤٨هـ • ولمّا كنّا نعرف أن الشاعر قُتل فى شعبان سنة ٢٤٩هـ فلابدّ أنّه أكمل تأليف منظومته ـ فى بغداد ـ فى النصف الثانى من سنة ٢٤٨هـ أو النصف الاوّل من السنة التى تلتها وهى على كل حال من أواخر نظم ابن الجهم •

والمراجع التى استمددنا منها المقطعات الباقية من المزدوجة ، هى :

(١) كتاب الاوراق للصولى/مخطوط •

(٢) مروج الذهب للمسعودى •

(٣) البدء والتأريخ للمطهّر بن طاهر المقدّسى •

(٤) التأريخ المجهول/مخطوط •

ثمّ ألحقت بالارجوزة تكملتها لابى الحسن أحمد بن محمد الاسدى الانبارى المتوفى سنة ٣٢٠هـ التى تمّم فيها ذكر الحوادث الى زمانه • وقد عثرتُ على هذه النتف منها فى كتاب الاوراق للصولى ، وشرح ابن بدرون ومعجم الادباء •

يا سائلى عن ابتداء الخلق ... مسألة القاصد قصد الحقّ
أخبرنى قوم من الثقات ... أولو علوم وأولو هيئات
تفرّعوا فى طلب الآثار ... وعرفوا موارد الاخبار
ودرسوا التوراة والانجيلا ... وأحكموا التأويل والتنزيلا
انّ الذى يفعل ما يشاء ... ومن له القُدْرة والبقاء
أنشأ خلق آدم انشاء ... وقدّ منه زوجة حوّاء
مبتدياً وذاك يوم الجمعهْ ... حتّى اذا أكمل فيه الصنعهْ
أسكنه وزوجه الجنانا ... فكان من أمرهما ما كانا
غرّهما الشيطان فيما صنعا ... فأهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخ أبونا آدمْ ... بجبل بالهند يدعى واسمْ
لبئس ما اعتاض من الجنان ... والضعف من جبلّة الانسان

فسقيا وورثا الشقاء نسلهما والكدّ والغناء
ولم يزل مستغفراً من ذنبه حتّى تلقى كلمات ربّه
فأمن السخطة والعذابا والله توّاب على من تابا
ثمّ تسلّى وأحبّ النسلا فحملت حوّاء منه حملا
وولدت ابناً فسمّى قاينا وعاينا من امره ما عاينا
فشبّ هابيل وشبّ قاين ولم يكن بينهما تباين
. . . . . .
والفرس والروم لها أيّام يمنع من تفخيمها الاسلام
وظهرت باليمن التبابعه شمر يرعش وملوك خالعه
. . . . . .
ثمّ تولّى أمرهم يزيد لا حازم الرأى ولا سديد
وكان هدم الكعبة المصونه ووقعة الحرّة بالمدينة
ومقتل الحسين فى زمانه أعوذ بالرحمن من خذلانه
. . . . . .
فمات واستولى على الامر عمر بسيرة محمودة من السير
فعاش عامين ونصف عام بدير سمعان سوى أيّام
. . . . . .
ثمّ تولّى بعده هشام أخوه فامتدّت به الايام
فلم يزل عشرين عاماً واليا الاّ شهورا خمسة بواقيا
ثمّ الوليد بن يزيد الفاتك تعاورته الاسد الشوابك
من بعد شهرين وبعد عام وبعد عشرين من الايّام
ونصب الحرب له ابن عمّه مستنكراً سيرته بزعمه
فقتل الوليد بالنجراء من بعد أن أثخن فى الاعداء
ثمّ يزيد بن الوليد الناقص غافصه الحين الذى يغافص
فلم يعش الاّ شهوراً ستّه عتّى ازالته المنايا بغته

فبايعوا اخاه ابراهيما ... فكان براً بهم رحيما
فخلعوه أن أتى مروان ... تكنفه الاجناد والفرسان
. . . . . .
وبايعوا من بعده للواثق ... وكلّ هذا فى القضاء السابق
فلم يزل فى بسطة ومنعه ... خمس سنين وشهورا تسعه
وزاد أيّاما عليها خمسه ... معدودة ثمّ تبوّا رمسه
وبايع الناس الامام جعفرا ... خليفة الله الاغر الازهرا
بعد ثلاثين وماتى عام ... وبعد حولين سوى أيّام
خلت من الهجرة فى الحساب ... العربى المحكم الصواب
. . . . . .
ثم أتته بعد ذا المنيه ... سريعة مقبلة وحشيّه
فاودعوه فى صلاة العصر ... فى يوم سبت لحده فى قبر
مستكملا من الشهور ستّة ... ولم يزد يوما عليها بتّة
وذاك بعد ماتين كامله ... وأربعين وثمان فاضله

تكملة مزدوجة على بن الجهم

لابى الحسن أحمد بن محمد بن عبيدالله الاسدى الانبارى

قال أبو بكر الصولى :

انشدنى ابو الحسن أحمد بن عبيدالله الاسدى لنفسه يتمم قصيدة على بن الجهم فى ذكر الخلفاء يذكر المتوكل •

ثمّ أتت بادرة الاتراك فصار بعد الملك للهلاك
فعاش عشرا كملا واربعا من السنين قد توفّاها معا
وتسعة من أشهر وعشره ايامه ثم استتمّ عمره

وقال ياقوت في معجم الادباء :

وحدّث عن الصولى قال أنشدنى أبو الحسن أحمد بن محمد الانبارى لنفسه فى قصيدته المزدوجة التى تممّ بها قصيدة على بن الجهم التى ذكر فيها الخلفاء الى زمانه :

ثمّ تولّى المستعين بعده فحاز بيت ماله وجنده
ثمّ أتى بغداد فى محرّم احدى وخمسين برأى مبرم

وذكر قطعة من أخباره ثمّ قال :

وثبتت خلافة المعتزّ ولم يشب أموره بعجز

وذكر طرفاً من أموره ثمّ قال :

وقلّدوا محمّد بن الواثق فى رجب من غير أمر عائق

وقال أيضا :

المهتدى بالله دون الناس جاء به الرحمٰن بعد الياس

ثمّ قال بعد أبيات :

وقام بالامر الامام المعتمد امام صدق فى صلاح مجتهد

وساق قطعة من سيرته •

لينغراد ـ بطرس گريزنيويچ